

حضور عُمان في الأدب الإنجليزي

هلال الحجري - جامعة السلطان قابوس. عمان

ملخص

يتناول هذا البحث موضوعا نادرا في الدراسات العربية؛ إذ أن عمان، هذا الضلع القصي في شبه الجزيرة العربية، لم يتمتع بحضور في الشعر العربي يليق بأهميته المكانية و خصوصيته الثقافية، على أننا نلمس له حضورا منقطع النظير في الشعر الإنجليزي .

إن حضور عمان في الأدب الإنجليزي، و الشعر على وجه الخصوص - كما سيوضح في هذا البحث- مختلف كلياً عن هذا الحضور الضامر في الشعر العربي. إنه حضور يستغرق المكان بثقافته و شخصه. و سنحاول في هذا البحث استكشاف الأدب الإنجليزي، و الشعر خاصة، من القرن السادس عشر إلى وقتنا الحاضر، متتبعين فيه حضور عُمان، مكانا و شخصا، و ثقافة.¹ و نعتقد بأن أهمية هذا البحث تكمن في أنه يردم فجوة معرفية كبيرة عن هذا البلد الضاربة جذوره في أعماق التاريخ. و لا يخفى على قارئ هذا البحث صعوبة المهمة التي نضطلع بها؛ إذ أن تتبع مكان معزول في أقصى شبه الجزيرة العربية، مثل عُمان، و رصده في أدب أجنبي يتطلب وقتا و جهدا ينوء بالعصبة أولى القوة من الدارسين، و لكننا نحمد الله على توفيقه و عونه، و نأمل أن يسهم جهدنا المتواضع في فتح نافذة أمام الدراسات العربية المعنية بالأدب المقارن عموما و الترجمة خصوصا.

تترد كلمة عُمان على شكل ذبذبات خجولة في الشعر العربي، و لعل أقدم هذه الذبذبات يعود إلى عصر صدر الإسلام، حين كان يضرب بها المثل في النأي و البعد. يقول أبو بكر الصديق (573م-634م): هلموا إلى دين النبي محمدٍ و لو كان في أقصى جبال عُمان²

و تعززت هذه الصورة عن بعد عمان في العصور اللاحقة، حتى أن الشاعر الأموي الشهير جرير (648م-728م) حين أراد أن يهجو جشع قوم في الأكل لم يجد لهم مكانا أقصى من عُمان.

يقول: لو يسمعون بأكلة أو شربة بعُمانَ أصبحَ جمَعُهُمُ بعُمانَ³

و تترد في الشعر العربي أيضا صورة أزد عمان؛ إذ كانوا مثالا للعر و منبت الكرامة، و يفرق الشعراء بينهم و بين أزد شنوءة في العراق. و من أوائل الأشعار التي نجد فيها هذه الصورة، قول الشاعر المخضرم السيد الحميري (723م-789م):

و الأزدُ أزدُ عُمانَ الأكرمون إذا عَدَّتْ مكارمُهُمُ في سالفِ الزمن⁴

إضافة إلى صورتني النأي و كرامة الأصل، نجد صورة ثالثة تتردد في الشعر العربي القديم والحديث، و هي صورة دُرر بحر عُمان و جواهره بكونها ثمينة و مصدرا للثراء. و لعل من أقدم الأشعار التي تبرز هذه الصورة، قول مهيبار الديلمي (ت 1037م) معبرا عن فقره:

يقول لي الغنى و رأى قعودي عن السعي المُمولِّ و الطلاب
أما لك في بحر عُمانَ مالٌ يسد مفاقرَ الحاج الصعاب
وإن وراء بحر عُمانَ ملكا رطيبَ الظل ففضاض الرَحَاب⁵

أ- جواهر هرمز، ولآلى بحر عمان، و بخور ظفار

إن كلمات مثل عمان، و مسقط، و هرمز، و ظفار، و مسندم، و قلهاة، و الربع الخالي حاضرة بوضوح في الشعر الإنجليزي خاصة في القصائد التي كتبت في القرون من السادس عشر حتى العشرين. وتحظى هرمز بنصيب الأسد من هذا الحضور في القرن السادس عشر؛ إذ أنها كانت رمزا للثراء الشرقي المفرط الذي ألهب مخيلة كبار الشعراء من أمثال توماس مور، و جون ميلتون، و شيلي، و غيرهم. و لطالما تناقلت المراجع الأوروبية هذه الجملة الشهيرة عن هرمز "إذا كان العالم خاتما، فإن هرمز هي جوهرته". و نجد في وصف الرحالة الإيطالي ماركوبلو الذي زارها في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، ما يؤكد هذا الثراء: "يقصدها التجار القادمون من الهند في مراكب موسوقة بالتوابل، و الحجارة الكريمة، و اللآلى، و أثواب الحرير، و الذهب، و أنياب الفيلة، و العديد من السلع الأخرى، التي يبيعونها من تجار هرمز، و يحملها هؤلاء إلى أنحاء العالم".⁶

و قد نقل التجار و الرحالة الأوروبيون صورة ثراء هرمز و أبتها إلى كل مكان وصلوا إليه في العالم. و من أجل ذلك نجد اسم هرمز يطلق على نوع غال و مشهور من الحرير معروف في أوروبا يسمى أرموزين (Armozeen)، و هو نوع من الحرير السميك، يميل لونه إلى السواد، و يستعمله عادة القساوسة. و ربما كان لنفس السبب أن أطلقت بعض الدول مثل أستراليا، و إيطاليا، و الهند اسم هرمز على شوارع هامة فيها، و كذلك أطلقت بعض الشركات الملاحية في القرن التاسع عشر هذا الاسم على بواخرها و سفنها التجارية.⁷

يقول الشاعر الإنجليزي جون ميلتون⁸، في مطلع ملحمة الشهيرة *الفردوس المفقود*:

هناك عاليًا على عرش الدولة الملكية،

العرش الذي يفوق بهأوه كنوزَ هرمز و الهند،

أو حيث بلادُ المشرق الرائعة تُغدقُ بيدٍ مُوسرةٍ

على ملوكها البرابرة الذهبَ و اللؤلؤ،

جلس الشيطانُ مُمجَّدًا،

بجدارةٍ نال ذلك السموُّ من الشر؛

ومن فرط قنوطه تجاوز الأمل،

فتَنَاقَ بنهم إلى ما هو أعلى،

إلى خوض حربٍ غير مُجديةٍ مع السماء.⁹

و يقول الشاعر الإنجليزي وليام سوزبي¹⁰ في قصيدته "معركة النيل":

كي أزرکش ظفانري

اجرفي يا هرمزُ حوضك اللؤلؤي

و يا شيرازُ

اسفكي نبيذك

كي أبلل شفاهي.¹¹

و نجد صورة ثراء هرمز الباذخ أيضا في قصيدة للشاعر الإنجليزي السير إدوين آرنولد¹²، حيث يقول في ديوانه في مديح سييتي:

لآلىُ هرمزَ و أصدافها، أجبها الآن

من هناك

منْ مستودعاتِ الحُبِّ المُضِيِّ، و قصر العاشقِ المَسْحُورِ.¹³

و صورة الثراء هذه لم تكن مقتصرة على هرمز، المملكة العظيمة في شمال عمان، وحدها، و إنما نجد مخيلة الشعراء مأخوذة بـ "الآلى عمان"، و مرَّها، و مرَّجانها، و فواكهها. و ربما كان الشاعر الإنجليزي الرومانسي الشهير بيرسي بايش شيلي¹⁴، في ملحمة الطويلة "ثورة الإسلام"، أول من لفت أنظار الشعراء إلى بحر عمان المرجاني، حيث يقول:

بدا الملكُ واهناً على عرشه وقتَ الظهيرة:

في الليل أرسل عبيدين إلى غرفتيها،---

أحدهما كان خصياً شاحباً ومُجَعِّداً،

تدرِّج من الإنسانية إلى كلِّ الأشياء البغيضة ---

مُشوَّهاً، خانِعاً، منحنياً.

الأخرُ كان تعيساً منذ الطفولة

قد أُخرسَ بالسُّمِّ؛ لا يعرفُ شيئاً سوى الإذعان:

من جُزُرِ النارِ جاء،

غواصاً رشيقيًا وقويًا، في بحرِ عُمانِ المرَّجاني.¹⁵

ثم أكد هذه الصورة الشاعر الأيرلندي توماس مور¹⁶، في قصيدته "عبدة النار"، التي افتتحها بصورة رومانسية حول سطوع القمر على ضفاف اللؤلؤ في بحر عمان:

هذا ضوءُ القمرِ يسطعُ على بحرِ عُمانَ؛

ضفافُ لؤلئها، و جُزُرُ نخيلها

تستدفئُ بالشُّعاعِ الليليِّ على نحو رائع،

وتنأمُ مياهُها الزرقاءُ مبتسمةً.

هذا ضوءُ القمرِ يسطعُ على حيطانِ هُرْمُزَ،

وخلالَ عُرْفِ أميرها ذاتِ الرُّحامِ السُّمَّاقِيِّ،

تُسمعُ أصواتُ البوقِ و الصَّنَجِ،

داعية الشمسِ الساطعة أن ترحل.¹⁷

ثم توالى هذه الصور عن عمان و لآلئها "البيضاء كالجليب"، على حد وصف ماديسن جولوبوس كاوين¹⁸، أحد الشعراء الأمريكيين في القرن التاسع عشر، الذي يقول في قصيدة "أرصفة الهُجُوع"، من ديوانه *الشاعر والطبيعة وطريق الصباح*:

على أرصفة الهُجُوع في المواني

شاهدتُ سفنَ الأحلام

قادمة تَمَخَّرُ عِبابَ البحرِ عَبْرَ السَّديمِ

مُهتدية بضوء القمرِ، و مَمَضانِ سراجِ الليلِ¹⁹.

مخازنُها مليئةٌ بغنائمَ

من كلِّ أرضِ وزمن؛

بذهبِ أوفير²⁰، و آلهة اليونان،

و قُصَّاصَاتٍ مِنْ قِصَائِدَ قَدِيمَةٍ.
و أَقْرَاصٍ مِنَ البَنَاجِ الكَرِيثِي،
و لِفَائِفَ مِنْ حَرِيرِ البِيَمَنِ،
و بَرَاعِمِ السَّنَانِ، وَخَشَبِ الصَّنَدَلِ
و لَأَلَى عُمانَ النَّاصِعَةِ البِياضِ كَالحَلِيبِ.²¹

و كثيرا ما ظل يدور في الشعر الإنجليزي، خلال القرنين التاسع عشر و العشرين، تشبيه أسنان الحبيبة، أو وجهها، باللؤلؤ أو الدر العماني. و هذا ما يؤكد ماديسون جولوس في أكثر من موضع في دواوينه. يقول مثلا في قصيدة "الرومانسية الشرقية"، من ديوانه قصائد:

كُنْتُ مَلِكًا. طَوَالَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ أَبْحَرْنَا
عَبْرَ الخَلْجَانِ الخَضْرَاءِ،
ذَاتِ الأفْقِ القُرْمِزِيِّ، وَ المُعْطَرَةِ بِالسَّنَانِ²²
كِي اعْتَرَفَ بِحُبِّهَا.
مَكْتِظَةٌ كَانَتْ سَفِينَتِي الشَّرَاعِيَّةَ
بِالصَّمْغِ، وَ الذَّهَبِ،
وَ الأَقْمِشَةِ النَّفِيسَةِ، وَ خَشَبِ الصَّنَدَلِ ذِي الرَّائِحَةِ العَتِيقَةِ،
وَ مُرِّ عُمانَ، الأَقْلَّ عِطْرًا مِنْ هَذِهِ المَرَأَةِ،
وَ مَجْوَهرَاتِهَا وَ لَأَلِنِهَا، الأَقْلَّ بِياضًا مِنْ نَهْدِيهَا.²³

و لم تكن ظفار في جنوب عمان بمنأى عن مخيلة الشعراء الغربيين، فصورة اللبان أو البخور الطفاري، الذي كانت تتغذى به أرواح الآلهة في المعابد المصرية و الآسيوية، كان لها صدى في قصائدهم. يقول الشاعر البرتغالي لويس دي كيمو²⁴ في ملحمة "اللوسيدان" الشهيرة:

انظُرْ إلى جِدَّةٍ، وَ حَقْلٍ عَدَنَ الظَّامِي
حَيْثُ لا تُمَطَّرُ السَّمَاءُ أَبْدًا؛
وَ لا يَخِرُّ نُهَيْرٌ صَافٍ فِي الوادِي
هنا تَنَجَلِي نَهْودُ جَزِيرَةِ العَرَبِ،
هنا تَنْفَسُ بَحْورَها، هنا قَفَرٌ صَخْرِي؛
وَ مِنْ فَوْقِ سَهْلِ ظَفَارٍ يَصْنُوعُ أَغْلَى لَبَانٍ فِي الدُّنْيَا،
حَيْثُ يُكَلِّلُ ضَبَابُهُ الأَضْرَحَةَ المُقَدَّسَةَ؛
هنا يَنَهَلُّ جَوَادُ الحَرْبِ الأَبْيُ فِي قَوْتِهِ، فَهُوَ أَسْرَعُ مِنَ العاصِفَةِ.²⁵

و قد ارتبطت صورة ظفار في الأدب الإنجليزي أيضا بإرم ذات العماد، أو وبار Ubar، أو أوفير Ophir كما جاءت في الكتاب المقدس. و يعتقد عدد من الرحالة الأوروبيين، و علماء الآثار بأن إرم مدفونة تحت رمال جنوب البلاد العربية. فبعض المستكشفين مثل بيرترام توماس، و لفريد تيسجر، و ويندل فيليبس قد صرحوا في كتاباتهم بأن "المدينة المفقودة" موجودة في جنوب عُمان. و في سنة 1991، نظّم منتج الأفلام الأمريكي نيكولاس كلاب Nicholas Clapp بعثتين إلى عُمان مع فريق، ضم علماء آثار، و جيولوجيين، و علماء فضاء، و بَعْضَ المُغامرين. و قد فحصوا الأبراج في شصر، شمال ظفار، ووجدوا دليلا يثبت أن المستوطنة تعود إلى 4000 سنة قبل الميلاد. و قد خلصوا من تنقيبهم إلى أن وبار، أو إرم موجودة في شصر.²⁶ و لعل أبرز

سنة 1821 يصفه الروائي و الرحالة الاسكتلندي جيمس بالي فريزر بأنه يتمتع "بشخصية قوية جذابة ولكنها أبعد ما تكون عن القسوة أو الصرامة؛ فمحياه يتسم بلامح لطيفة و بشوشة".³³ و يؤكد هذه الصفات في السيد سعيد الضابط البريطاني جورج كيبيل، الذي زار مسقط سنة 1824. يقول كيبيل: "أشد ما أعجبتنا في الإمام دماثة خلقه و عدم تصنعه في الحديث. إن البساطة الأبوية للشخصية العربية كانت بارزة بقوة في كل شيء يتعلق بمجلسه. و في الديوان اليومي الذي يعقده الإمام، يجلس الجميع سواسية بغض النظر عن مراتبهم. بل إن الشحاتين يحضرون هذا الديوان و يجدون أذنا مصغية من الإمام لسماع شكواهم".³⁴

و لعل أهم صفات النبيل و التحضر التي أسبغها الأوروبيون على السيد سعيد بن سلطان تتجلى في وصف الرحالة الإنجليزي روبرت مجانان له سنة 1825. يقول مجانان: "يتسم السيد سعيد بدماثة الخلق في أرقى صورها. و هو في الوقت نفسه ملتزم بتعاليم الدين الإسلامي. و تذكره رعيته بكل حب و إخلاص كما يذكر الأطفال آباءهم. و هو يمارس العدل بينهم بنفسه و يراقب بكل دقة صحة تطبيق القوانين و تنفيذ الأحكام. و لكن حين يقع أحد رعيته في ضائقة مالية فلا يتوانى عن إقراضه ما يحتاجه من المال ليسدده بعد ذلك حين تنفجر ظروفه و بلا أرباح من المال. و باختصار، فإن السيد سعيد في جميع تصرفاته يقف فريدا بين الحكام الآسيويين؛ مما يجعله - دون منازع- الأسد الأكبر في الشرق".³⁵

في سنة 1831 زار مسقط رحالة يهودي إنجليزي، اسمه جوكيم هيوارد ستوكلر، و قد استقبله السيد سعيد رسميا في قصره و أكرم وفادته. و يقول عنه ستوكلر: "إن السيد سعيد معروف لدى معظم الرحالة، و من غير اللائق عدم التنويه بذكر هذا الأمير الذي يكرم ضيوفه الأوروبيين ببالغ السعادة. إنه رجل لطيف و نبيل في حوالي الأربعين من عمره. و هو مقاتل، و تاجر، و حاكم عادل، و محب شهيم، يُبجّلُه جميع أهل مسقط، إن لم يكن جميع العرب في الخليج. و هم يجمعون على عدالة تصرفاته و أحكامه، و سخاء يده، و اهتمامه بإصلاح أحوال رعيته، و تسامحه مع الأديان الأخرى".³⁶

و المؤكد أن سمة السيد سعيد في تسامحه مع الأديان الأخرى، و انفتاحه التجاري لكل الشعوب بغض النظر عن جنسياتهم، و ألوانهم، و أديانهم قد نوه بها معظم الرحالة الأوروبيين و غير الأوروبيين الذين زاروا مسقط في عهده. من ذلك ما يؤكد رجل الأعمال و الدبلوماسي الأمريكي إدموند روبرتس، الذي زار السيد سعيد سنة 1833، ضمن بعثة دبلوماسية، ليتفاوض معه في اتفاقيات تجارية و تفاهمية في زنجبار و مسقط. يقول روبرتس في وصف التسامح الديني لدى السيد سعيد: "إن جميع الأديان، في المناطق التي يهيمن عليها السلطان، لا تحظى بالتسامح فحسب، و إنما تتمتع برعاية صاحب السمو نفسه. و عليه، ليس هناك من عائق البتة يمنع المسيحي، و اليهودي، و غيرهما من ممارسة شعائر دينهم، أو بناء معابدهم".³⁷ و يقول عن انفتاحه التجاري: "إن السلطان معروف بحبه الشديد للعدالة، و التصرف الإنساني، و هو محبوب كثيرا من رعيته. و ينظر إلى التجارة نظرة عادلة متحررة؛ فهو لا يكتفي بازالة العقبات عن طريق تقدمها فحسب، و إنما يشجع الأجانب و رعاياه أيضا على ممارستها".³⁸

و من الأوروبيين الذين عرفوا السيد سعيد و خبروا نبيله و كرمه و عدله، إلى حد أنه لقبه بـ "عمر الثاني"، كان الرحالة الإنجليزي جيمس ويلستد. جاء ويلستد إلى مسقط سنة 1835، ليقوم بأول رحلة واسعة النطاق يقوم بها أوروبي داخل عمان، و قد وفر له السيد سعيد كل وسائل الدعم

المادية و المعنوية لإنجاح رحلته. يقول ويلستد في وصف نظام حكم السيد سعيد و مزاياه: "ما يميز حكومة هذا الأمير هو اختفاء جميع الضرائب الجائرة، و تجنب الظلم و التعسف في العقوبات، و الاهتمام الزائد بكل التجار القاطنين في مسقط بغض النظر عن جنسياتهم، و بالتسامح العام تجاه جميع المعتقدات. و من جهة أخرى، فإن نزاهته، و عدم تحيزه، و رأفته في العقاب، مع اهتمامه الدقيق بما يحقق رفاهية شعبه، قد جعلته محبوبا و محترما عند أهل الحضرة من رعيته، كما أن سخاءه و شجاعته قد عززت مكانته في نفوس البدو. و جميع هذه السجايا الحميدة قد أهلته للقب "عمر الثاني" في كل أنحاء الشرق".³⁹

و نجد قيم التسامح، و العدل، و الشجاعة، و التواضع في شخصية السيد سعيد يؤكدها مختلف الرحالة و الرحلات؛ فهذه سيدة تشيكية من مدينة براغ، اسمها بولين نوستيز، و قد زارت مسقط بصحبة زوجها الدكتور هيلفر سنة 1836، تقول في وصف السلطان: "إن إمام مسقط معروف بأنه أشهر حكام الشرق، و هو نموذج مثالي للأمير الشرقي، الذي يجمع بين إعطافه العدالة، و الجراءة، و البسالة، مع التواضع الأبوي. و قد اشتهر أيضا بكونه ليبرالي النزعة، سخيا مع الأوروبيين. و لم يسبق لأحد أن أعظم، طوال حكمه و اتساع مملكته، بسبب معتقداته الدينية؛ فقد كان شديد التسامح مع الأديان الأخرى، رغم كونه الرئيس الروحي لطائفته، و القدوة المثلى لرعيتيه في اتباع تعاليم الدين. و نظرا لبساطة سلوكه فقد كان يسمح لأي كان بالاقتراب منه و مجالسته حتى لو كان متسولا".⁴⁰

لقد ظل السيد سعيد بهذه الصورة المشرقة في عيون الأوروبيين حتى آخر حياته. و من الذين شهدوا نبلة و كرمه قبل وفاته بسنة الدبلوماسي الفرنسي آرثير كونت غوبينو، الذي زاره في مسقط سنة 1855. يصف غوبينو السلطان في هذه المرحلة من عمره، قائلا: " كان السيد سعيد يمسك بيده عصا طويلة يتكئ عليها و هو يمشي بنبل و وقار. بدا عليه كبر السن، ولحيته ناصعة البياض. عيناه سوداوان كريمتان، و سيماء وجهه هادئة جدا وابتسامته لطيفة وروحية. يشع من شخصيته نوع من التوازن بين مشاعر شتى، توازن يعتبر سمة و ميزة للرجل الأصيل. كان بالتأكيد أميرا متميزا عن كل الحكام الصغار، الذين أجبرتهم مواردهم الضعيفة أن يكونوا حكاما مغمورين. أما هو، و بسلوكة مسلكا جديدا للغاية، نجح في نيل تقدير جيرانه الأقوياء".⁴¹ و في سنة 1856، السنة التي توفي فيها السيد سعيد، زار مسقط الرحالة الإنجليزي و بليام آشتون شفرد، و قدم رسم هذا البورتريه للسلطان: "إن هذا الشيخ الكبير، بطبعه الكريم، و أبوته الحانية، و وجهه الرجولي السمح، و حاجبيه الكثيفين، و عينيه السوداوين النجلوين، و فمه المطبق المحاط بشارب فضي و لحية بيضاء تنتهي بطرف مدبب أسفل ذقنه بحوالي ست بوصات، مع ملامح الحزم، و نبل المقصد، و رقة المشاعر، و التصميم، و مع حرارة الاستقبال، و دفء المصافحة، كل هذا يحمل على تقديره و احترامه فوراً. و هو فارغ الطول، تبلغ قامته ستة أقدام، على بسطة في الجسم، يسير بخطى ثابتة نشطة، و ينتصب بهمة و اعتدال كالرمح....إنه من أنبل الرجال الذين رأيتهم في الشرق".⁴²

شاعر أمريكي يمدح السيد سعيد بن سلطان:

زار عمان في القرن التاسع عشر بعض الأدباء الأوروبيين، من بينهم الشاعر الأمريكي فيتش تايلر⁴³، الذي توقف في مسقط لمدة أسبوع من 18-25 أكتوبر 1838. كان تايلر قسيسا على ظهر السفينة الأمريكية كولومبيا، التي كانت تحمل طاقما كبيرا و متنوعا من العسكريين و

السياسيين و التجار و الكتاب؛ لتعزيز العلاقات الأمريكية مع دول الشرق. خصص تايلر الفصل السابع من كتابه "رحلة حول العالم" لمسقط، نقل فيه رسماً جميلاً متخيلاً للمدينة من جهة البحر، كما تحدث فيه عن شخصية السيد سعيد بن سلطان و أسرته و السخاء الذي أحاطوه به و بطاقم السفينة. كما تحدث فيه عن المعتقدات الدينية الخاصة بالعمانيين، و روح التسامح التي كانوا يولونها للأقليات الأخرى في مسقط من مسيحيين و يهود، و بانيان. كما أنه كان معجباً بالبدو الذين زارهم خارج ضواحي مسقط، فأكرمهم و أحسنوا وفادته، حيث يصفهم: "بيدون كالإغريق، بشعورهم الفاحمة ذات العقائض الطويلة المنسدلة على أكتافهم. بلامحهم المشرقة، و ابتساماتهم الرقيقة، و شعورهم الجميلة المعقوصة و اللامعة، و منابكهم العريضة و سواعدهم المفتولة، كانوا أكثر روعة و فنتة من المكان".⁴⁴ و لعل أهم ما جاء في كتاب تايلر هو قصيدة موزونة مقفاة مدح بها السيد سعيد بن سلطان.⁴⁵ يقول تايلر:

| | |
|--|--|
| سُلْطَانَ مَسْقَطٍ، أَفْخَرُ، عَهْدُ مَجْدِكُمْ | شَلالُ ضَوْءِ مَدَى الْأَفَاقِ يَنْسَكِبُ |
| خَلَدَتْ إِسْمَكَ، مَجْدُ الشَّرْقِ يَعْرفُهُ | و الْغَرْبُ لَيْسَ بِخَافٍ عَنهُ ذَا النِّسْبِ |
| عَبْرَ الْمُحِيطَاتِ جَننا أمة مَخْرَتٌ | عَبابُ بَحْرِ عُمَانَ.. قَلْبُهَا يَجِبُ |
| يُزْجِي لَكَ الشُّكْرَ و الْعِرْفَانَ أَجْمَعُها | عِشْ سَيِّدا ظافِرا دانتْ لَكَ الْعَرَبُ |

شاعر بريطاني يندب جواد السيد سعيد بن سلطان:

كان السيد سعيد معروفا لدى الأوروبيين بحبه للخيل العربية الأصيلة، و لطالما ذكروا في قصص رحلاتهم اصطبلاته الخاصة في مسقط و ما كانت تحتويه من عتاق الخيل و كرامها، و نوهوا بهداياه الثمينة من هذه الصافنات إلى الملكة فكتوريا و من جاء بعدها من ملوك إنجلترا. و قد حدث أن أهدى السيد سعيد جوادا أسود إلى الملك ويليام الرابع؛ و لكن بعد رحيل الملك فرط فيه البريطانيون و عرضوه للمزاد سنة 1837 في هامبتن كورت Hampton Court، و اشتراه ملك وارتمبرج Wurtmberg الألماني بمبلغ 580 جنيه استرليني، و كانت حينها قيمة عالية. و قد هال هذا الأمر الشاعر البريطاني فرانسيس هيستينجز دويل Francis Hastings Doyle (1810-1888).⁴⁶ و قد نشر قصيدة طويلة يندب فيها رحيل هذا الجواد العربي الأصيل، و ينعي على البريطانيين جشعهم في بيعه و التفریط في هدية السيد سعيد بن سلطان. يقول دويل:

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| أجل! خيرٌ لكم أن تطلقوه | عطاء الملك منقطع النظر |
| فروح إنجلترا حقاً محاطٌ | بصغرى الهمّ و الرأي الحقير |
| جوادٌ من سنين خالياتٍ | بها كنتا قلوبا كالنفسور |
| غريباتٍ على زمن التردّي | و تجار ذوي جشع مُبِير |
| أضاعوا منحة الملك المرجى | إلى غرباء عنه في المصير |
| ثعبُرٌ عن صلاتٍ راسخاتٍ | و مجدٍ غابر عبّر الدهور |
| أضاعوها و لم يخشوا شتاراً | سيرمي الشرق بالحدث الشهير |
| سيجني البيع و البياغ هُزءاً | جديرا بالعداوة و الشُرور |

ت- الربع الخالي:

هي الصحراء العربية الكبرى، وربما عرفها قدماء العرب بـ"مفازة صيهد"، ولكن الرحالة الأوروبيين التقطوا اسم "الربع الخالي" من أفواه البدو الذين رافقوهم في اختراقها، وكذلك سماها

الجغرافيون العرب المحدثون.⁴⁷ و حقيقتها بحر متلاطم من الرمال يغطي قرابة 200,000 ميل مربع من جنوب و جنوب شرق جزيرة العرب.

بحر الرمال هذا أصبح، في القرنين التاسع عشر والعشرين، حلبة للمغامرة استهوت معظم الرحالة والمستكشفين الأوروبيين. فقد جاء في كتابات الرحالة البريطانيين إلى عُمان والجزيرة العربية من أوصاف مهيبية لهذه البرية الشاسعة ما ألهب أحلام المغامرين لاختراقها ومخيلة الشعراء والأدباء للتغني بها. في عام 1835، استطاع الرحالة جيمس ويلستد من قمة "الجبل الأخضر" أن يرصد هذا المشهد البانورامي للربع الخالي:

"سهولٌ شاسعة من الرمال المتحركة الفضاضة تمتد على مرمى البصر، لا يكادُ البدويُّ الشديدُ يجرؤُ على المجازفة في اجتيازها. مشهدٌ ثابتٌ و مُوحشٌ، لا يمكن أن يكسرَ مظهره هضبة أو تغير لون السهول."⁴⁸

ويروي بيرترام توماس عن الرحالة والأديب الإنجليزي ريتشارد بيرتون أنه سمع من مصادر موثوقة من رفاقه البدو أن الربع الخالي عبارة عن:

"أعماقُ مَرُوعَةٌ تغصُّ بمجموعةٍ سكانيةٍ كبيرة من أنصاف الجوعى. إنها تزخر أيضا بأودية وأخاديدٍ وشعابٍ تتغذى جزئياً بسبول متقطعة، ولهذا فإنها مفتوحة للرحالة المغامرين"⁴⁹.

صمويل مايلز، أيضاً، أثناء رحلته من عبري إلى صنعك، في داخلية عمان، ديسمبر 1885، وصل إلى هامش "الصَّحراء الكبرى" كما يسميها، وقدم هذا المشهد:

"هذه الصَّحراءُ، في الحدود الشَّرقيَّة التي عليها الآن نقف، تمتد بعيداً إلى الغرب حوالي 700 ميل، مشكلة المدى الأكبر والأكثر جدبا من الرمال في قارة آسيا. بوجه عام، إنها مجردة من الأنهار، والأشجار، والجبال والمسكن البشريَّة، وغير مكتشفة ولا قابلة للاكتشاف. إنها خالية من الطعام، والماء، والطرق، والظلال، كما أنها تذررها العواصف. وهي أرض الهدوء، والخمول والرتابة بشكل قل أن يكون لها نظير في العالم"⁵⁰.

كلّ هذه التحدّيات و عقبات الصحراء المذكورة من قبل الرحالة السابقين جعلت كلا من بيرترام توماس وجون فيلبي يتسابقان في اختراق الربع الخالي، لكن توماس استطاع أن يحرز قصب السبق حين اجتاز هذه الصحراء من صلالة في جنوب عمان إلى قطر عام 1931. ولم يبق لمنافسه جون فيلبي إلا أن يجتازها من الشمال إلى الجنوب عام 1932. كما استطاع الرحالة البريطاني ويلفريد ثيسيجر أن يخترق الربع الخالي مرتين من الجنوب إلى الشمال وبالعكس في الفترة من 1946-1948.

أوروبيون شذوا الرحال إلى الربع الخالي فكتبوا عنه قصص مغامراتهم مع البدو و "أم السميم" و "عروق الشبية" و الرمال المتحركة، فكان لذلك صدى في آدابهم عبّروا عنه شعرا وسردا قصصيا و روايا. فهناك ثلاثة رحالة بريطانيين تركوا لنا أعمالا تعتبر من أروع أدب الرحلات في العالم تدور أحداثها في الربع الخالي: أولها كتاب "العربية السعيدة: عبر الربع الخالي في جزيرة العرب" لبيرترام توماس، صدرت أول نسخة من عام 1932، وثانيها كتاب "الربع الخالي" لجون فيلبي، صدرت أول نسخة منه عام 1933، وثالثها كتاب "الرمال العربية" لويلفريد ثيسيجر، وقد صدرت طبعته الأولى عام 1959. هذه الرحلات، دون شك، أثرت في أدباء اللغة الإنجليزية فصدرت مجموعات شعرية وقصصية وروائية تحمل عنوان "الربع

الخالى" وتتغنى به. فالكاتب الأمريكى لاء كاميرون Lou Cameron أصدر عام 1962 رواية عنونها بـ "الربع الخالى"، والشاعر الأيرلندي جيرى مورفى Gerry Murphy أصدر عام 1995 مجموعة من قصائده اختار لها عنوان "الربع الخالى" وهو عنوان قصيدة تضمنتها نفس المجموعة، وفي عام 1998 أصدر الروائى الأمريكى ديفيد ماريون ويلكينسون David Marion Wilkinson رواية عنونها أيضا بـ "الربع الخالى"، كما أصدرت القاصة الأمريكية شارون ميسمر Sharon Mesmer عام 1999 مجموعة قصصية حملت عنوان إحدى قصصها و هو "الربع الخالى".

النصوص الإنجليزية حول الربع الخالى ثرية، نثرا و شعرا، و قد ضربت سابقا أمثلة من الروايات و القصص التي نشرت في بريطانيا و أمريكا، و أسرد الآن أمثلة من القصائد التي استلهمت الربع الخالى دون أن يكون أصحابها قد زاروا عمان بالضرورة. و من هذه القصائد، قصيدة "الربع الخالى"، لالان سيليتو⁵¹:

يتأملُ في الرُبْع الخالى:

مَعْبُدٌ من الرمل يتبدّدُ في عنق ساعةٍ رمليةٍ. ملامحٌ على أحمال الإبل
منطلقة إلى عُمان أو مسقط
بشعاع ماركاتوري خفي
يحرق الحافر و يؤهن السنام.

مفتونا بالربع الخالى، يسافر بقافله المكوّمة
عبر مسالك أرضية بدت كتجاعيد
لأرض لا مستقرّ لها، وحببيات رمل ذهبية
صاعدا كثنائا رمادية بمحاذاة أشجار بركانية
وآبار كريمة برائحة الماغنيسيوم
تشرب منها الحياتُ والإبل.

و لعل من أهم القصائد التي تناولت الربع الخالى هي قصيدة "الربع الخالى" للشاعر الأمريكى جون كانادي⁵²:

في الربيع المبكر-هنا في الربع الخالى
جيريل هز عصاه على الظهور المحدبة
للسحب الهائجة. إنها تهدر كالجمال الغاضبة
وترعد نحو حقول الفلاحين.
في الليل، أحلم بالعشب مخضرا يتكلم.
ولكن ساعة الهجير، حتى التثرثرة الجافة للجن
تهجر الأودية. الشمس تدلي دلوها،
رغم أن جسدي هو البئر الوحيدة في هذه الصحراء.

ث- عمان الحديثة:

رأينا سابقا أن الربع الخالى، و هرمز، و ظفار، و مسقط، و قلهات، و أماكن أخرى من عمان كان لها صدق قوي في الشعر الإنجليزى منذ القرن السادس عشر و حتى القرن الحالى. و إذا كان حضور عمان في قصائد شعراء مشهورين من أمثال شبلى، و وايت مان، و جون ميلتن، و

توماس مور يمثل في الماضي استلهاما رومانسيا للشرق و غرائبيته، فإن تجربة شاعر إنجليزي معاصر مغرور، هو مايك هايويل-ديفيز Mike Hywel-Davies، في مجموعة أصدره ا في مسقط سنة 1999، بعنوان "عمان تزورها و لا تنساها"، تمثل بعدا و نوعا آخر من الشعر.⁵³

ليس ثمة مصادر تتحدث عن الشاعر، و لكن عبر مقابلة شخصية معه في مسقط يمكنني على الأقل تسليط الضوء على جانب يسير من حياته. ولد مايك هايويل-ديفيز في لندن سنة 1942، و يبدو أنه لم يرغب في إكمال تعليمه الجامعي، فانخرط في العمل المهني مبكرا. كانت أولى زيارته إلى عمان سنة 1977، لكنها لم تدم طويلا، ليعود بعدها مرة أخرى سنة 1990 ليعمل في شركة النفط العمانية (PDO) مدة أحد عشر عاما، حتى سنة 2001. يعمل حاليا مديرا عاما لمشروع نادي مسقط الريفي للجولف.

هذا كل ما يتوفر من معلومات حول الشاعر، لكن مجموعته التي اشتملت على ستة عشر نصا إقاعيا، بتصد المكان و الثقافة معا في عمان. النصوص جاءت مصحوبة بروعة الصور التي التقطتها كاميرا الفنانة التصويرية جوليا دي فير ماكلروي (Julia de vere McIlroy)، والتي تربطها بعمان "ذاكرة ثرة سعيدة" لا تقل عن عشرين عاما، كما تقول في مقدمة الديوان.

أهمية قصائد مايك هايويل أنها ترتبط ارتباطا حميميا بتفاصيل الحياة اليومية في عمان. هذا الارتباط الذي يعبر عنه جاستون باشلار في كتابه *جماليات المكان* "بقيم الألفة"، القيم التي تمتلك جاذبية تجعل القارئ يتوقف لا إراديا عن قراءة قصيدة حول مكان ما ليصغي لذكرياته حول ذلك المكان.⁵⁴ "قيم الألفة" هذه تزدهم بأصدائها في كل قصيدة من قصائد مجموعة "عمان تزورها و لا تنساها".

في جبل شمس يلتقط مايك هايويل صورة شعرية لرجل عجوز، داعم العينين، ربّ الهيئة، يسوم للسباح مقنتيائه البسيطة من منسوجات، و حفريات، و فضيات. يتلأأ في التلخص منها، و حين لا يُرضيه الثمن يُولي وجهه، زاهدا، شَطْرَ الهاوية السحيقة للجبل، لِيُطلَّ على غرْبانٍ تدرُغ المنحدراتِ في كل حين. يقول في قصيدة "شروق على جبل شمس":

ذهبيًا و هادئًا يَبزُغُ الفجرُ على صَخْرٍ عارٍ، و عَرَّعَ
كاشفًا عن كنوز كانت دفينَة ذات يوم
فَفَتَحَها هَيَّجانٌ كارثي
الظلامُ بمرور الوقتِ صار دِرْعًا
لِتلك المَخْلوقاتِ البطيئةِ الناشئةِ في الأعماق
و هناك قريبًا من السماء على مَرْمَى البصر
أحافيرُ رائعةٌ مُدَوِّرة
تبدو ملساء على صُخور رُقَاقِيَّة
و جُنُودُ أشجارٍ عارية.
طائرُ الحُمَيْراءِ يلَمَعُ قَرْمُزِيًّا في الظلامِ الباهتِ للفجر
مُخترِقًا سلاسلَ دُرَى لِنَيْلِكِيَّةِ فاتحة
مُصافحًا سَهْلا من الغافِ المُتَنائِرِ
و في الليلِ بدا مُمتزجًا بمشهدِ رَجُلٍ شاحبٍ
انعكاسُ دُرَرٍ رائعةٍ تُومِضُ

و بلفتُ نظراً هابويل-ديفيز في عمان طريقة التحية الشائعة بين البدويات، و هي رَفَعُ البُرْقُوعِ و التصافح بأرتبة الأنف. طريقة يرى فيها من الألفة و الحميمية ما يشدُّ من روابط الصلة و "أختية" الإنسان الكامنة" بين النساء. و هابويل-ديفيز الذي جاء من مجتمع قد تحررت فيه المرأة من التقاليد القديمة، لا يرى غصاضة في البراقع و لا ينظرُ إليها بسخرية الخطاب الغربي من الحجاب؛ بل يُعظِّمُ الجمالَ في العيون المكحولة لطبباء الفلاة. و يرى في العينين المُدَخَّرَتَيْنِ وراء البُرْقُوعِ حُرِّيَّةَ كاملة تمنح الأنثى أن ترى ما تُريد:

برَفَعِ البُرْقُوعِ و أداء التحية
في مَلابِسَ حَمراءَ و مُدَهَّنَاتِ بَرَاقَةٍ:
"أخبرتكِ ذلك؟ كَيْفَ استطاعتِ يا عزيزتي؟"
" سَيَكُونُ لها طريقتها، ستندمُ يوماً! "
تصاميمُ الرجال في حفاظهم على أختية الإنسان الكامنة
حُطَّطَ جِدًّا خَفِيَّةً لَدَرَّ العيون المُنطَفلة
للدردشة في رفقة هادئة
أو مهرجاناً صاخباً لأصواتِ النساءِ
أزياهن الصارخة المرححة لحنٌ صريحٌ ضدَّ بساطة الرجل
و تنمُّ عن أفكارٍ مهمَّةٍ وبياناتٍ جريئة
العباءةُ مربوطةٌ بإحكامٍ أصمَّ
بينما العيونُ المكحولة تُحَقِّقُ بِقِظَةٍ
و تُرَقِّبُ الحياةَ في حركتها و تغيُّرها.
ومع أن الحياة قد تسهلُ
بالسيارة و المدرسة و التلفاز
إلا أن قاعدة سلطنة الأجيال تبقى،
تُراوِحُ مكانها، جِدًّا خَفِيَّةً.
سيطره الأسرة-الأم المتوارثه ما زالت تُحدِّدُ المسار
تُناوِرُ بندوقَ الزمن و تُقاومُ مزاجَ الهورة القمرية.
لكثير من هذه اللقاءات، و العواطف العتيقة لظل وقت نفسه،
تنزِّي النساءُ بأناقةٍ لإمتاع أنفسهن
يَقْضِينَ أوقاتهن كآخواتٍ
و زوجاتٍ
مصدرُ النفوذِ هذا، شراكة راسخة
تُعزِّزُ بقوةٍ
أختية الإنسان الكامنة. 56

و في قصيدتي "الدخان" و دائرة الزمن"، لعلهما من أروع ما في هذه المجموعة، مشاهدٌ لا أعتقد أن أحداً قد التفت إليها شعرياً في عمان. في الأولى يصفُ دُخانًا يَصَاعِدُ بين سَعَفِ النخيل، حيث المشهدُ يمتزج مع صورة يوم من أيام العيد في عُمان. هتافاتُ الأطفال و هم يمرحون بين

النُخيلات تُزَنُّ مشهدَ أشرطةٍ من دُخان الخُوص و الكَرَب و هي ترفرفُ من سَعْفَةٍ إلى سَعْفَةٍ،
حاملةٌ معها آمالَ الصغار و الكبار إلى أفقٍ مجهول، مُخلِّقةً وراءها شذَىً من عَبَقِ الطَّبِيعَةِ
الأولى. يقول:

الدخانُ
يَغْمُرُ طريقَ الأحلامِ والأملِ
بالمستقبلِ كُلِّهِ أمامهم
و يَحْتَشِدُ الناسُ في حفلةِ العيدِ
وهتافاتُ الأطفالِ السعيدةِ تُرفرفُ
من سَعْفَةٍ إلى سَعْفَةٍ
لتسوقَ دموعَ الأُمسِ و مخاوفَه بعيدا
و تنجرفُ إلى المجهولِ خلالِ السعفِ الخصبِ
الذي يُورقُ، برفقٍ،
أشرطةً طليقةً من الدخانِ
تتسكَّعُ بِبطءٍ فوقَ قممِ النخيلِ
للتدلى لولبيةً و مَعْقوصةً
كسولةً، أمانةً وسطَ مَرُوجٍ مُغْبِرَةٍ
ثم تلامسُ، سرًّا، رُطْبًا ذهبيًا
و تصعدُ ذاويةً و شاحبةً
لنتماهى،
و تتلاشى في السماءِ الزرقاءِ
و تتركُ وراءها
شذًا طفيفًا بمرورها.⁵⁷

و في القصيدةِ الثانيةِ يلتقطُ هايويل-ديفيز بعينِ شعيريةٍ ثاقبةٍ مشهدًا من مشاهدِ الصَّبَا التي مرَّ
بها كثيرٌ من العمانيينِ في طفولتهم القروية. مشهدٌ يرصدُ فتىً مُطرقَ الرأسِ، عن تأملٍ لا عن
خنوعٍ، يجتازُ سِكَّةَ غبراءَ من الطينِ و بقايا الخوصِ، بحثًا الخُطى إلى الكُتَّابِ أو المسجدِ،
مُكتهلًا في حديثه و تفكيره، مُحاصرًا بزمنٍ لا يريم، بينما هو يحرقُ مراحلَ العُمُرِ شوقًا إلى
عالمٍ مجهول:

وقَعَ أقدامُ خفيفةٍ على سَبِخَةٍ و خُوصِ
تحتَ القدمينِ و ما حولهما يَكْمُنُ تاريخُ
دائرةٍ تتشكلُ من روابطِ اللغةِ و المودةِ
ذلك المزيحُ من النعماتِ يتموِّجُ على شواطئِ الأملِ
رؤىً مُتَقَنَّةً و مشاريعَ جديدةٍ.
وحيدًا، مُطرقَ الرأسِ، يَحْتُ خُطاهِ
على مَوْعِدٍ مع ذاتِهِ الأخرى
جدُّ يافعِ الآنِ لِيَرَكُضَ و يَضْحَكَ
جدُّ يافعِ ليجتازَ نُهَيْرَ الصَّبَا
جدُّ مُكتهلٍ لِيُبْرِزَ فهما ناضجًا للروى

مُتَمَرِّدٌ يُحَاصِرُهُ زَمَنٌ لَا يَرِيمُ

بينما هو يُلْحَقُ فِي سَعْيِهِ لِيَسْبَّ عَنِ الطُّوقِ.⁵⁸

هذه بعض من "جماليات المكان" أو "قيم الألفة" - كما يسميها باشلار - تتردد بشكل مدهش في هذه المجموعة الشعرية الصغيرة. صُوِّرَ شعرياً لتفاصيل الحياة في عمان لا تبتُّ روعتها في النفس عبر جسور البلاغة القديمة من تشبيه أو استعارة، و إنما من خلال الكلمات البسيطة وكثافة المشهد.

الخاتمة:

حاولت هذه الدراسة أن تسلط الضوء على موضوع، نعتقد بأنه مجهول في الدراسات العربية، وهو حضور عمان بمكانها وشخصها وثقافتها في الأدب الإنجليزي، حضوراً هيمن الشعرُ على شكله ومحتواه. وقد يدعش المرء من اهتمام شعراء العالم، خاصة الأوروبيين، بهذا المكان القصي من جزيرة العرب، رغم أن كثيراً منهم لم ير المنطقة إلا من خلال القراءة في كتب التاريخ، أو قصص الرحلات. ولذلك نرى أهمية تتبع هذه الإشارات التي وردت في القصائد المكتوبة بلغات أجنبية، و ترجمتها إلى العربية بغية دراسة هذه الظاهرة المميزة في الآداب الأجنبية. وقد اقتصرنا في عملنا هذا على تتبع ما ورد عن عمان في الشعر المكتوب باللغة الإنجليزية، سواء أكان إبداعاً، أو ترجمة، تاركين تحليل هذه النصوص و استكناه صورها لدراسة أخرى في المستقبل إن شاء الله.

الهوامش:

¹ من الأهمية بمكان أن نؤكد هنا بأن مصطلح "الأدب الإنجليزي" لم يعد مقتصرًا في الدراسات الحديثة على المعنى التقليدي له و الذي يحصره في الأدب المنتج في إنجلترا. يشير كتاب "تاريخ كمبردج الموجز للأدب الإنجليزي" إلى أن الأدب الإنجليزي هو الأدب الذي كتب باللغة الإنجليزية سواء أكان كتابه من إنجلترا أو اسكتلندا أو أيرلندا أو أستراليا أو أمريكا أو أي مكان ناطق باللغة الإنجليزية؛ و لذلك فإن تاريخ الأدب الإنجليزي يشمل روبرت برنيز و هو اسكتلندي، و جيمس جويس و هو أيرلندي، و جوزيف كونراد و هو بولندي، و إيجار آلن بو و هو أمريكي. انظر:

Sampson, George *The concise Cambridge history of English literature*, 3rd ed (London : Cambridge U.P., 1970), p. 841.

² أبو بكر، عبد الله بن أبي حنيفة. *ديوان أبي بكر الصديق*، تحقيق: راجي الأسمر، (بيروت: دار صادر، 2007)، ص 49.

³ الصاوي، محمد إسماعيل. *شرح ديوان جرير*، ط 1 (القاهرة: مطبعة الصاوي) ص 581.

⁴ الأصبهاني، أبو الفرج. *الأغاني*، تحقيق سمير جابر، ط 2، ج 7، (بيروت: دار الفكر)، ص 284.

⁵ الديلمي، مهيار، *ديوان مهيار الديلمي*، تحقيق أحمد نسيم، ط 1، ج 1 (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1925)، ص 37-36.

⁶ خوري، إبراهيم، و التمرري، أحمد، *سلطنة هرمز العربية*، المجلد الثاني (رأس الخيمة: مركز الدراسات و الوثائق، 1999)، ص 8.

⁷ يوجد في فينيس في إيطاليا إلى اليوم شارع اسمه Ormesini، و في أستراليا في منطقة Caloundra شارع اسمه

Ormuz Ave. و في بانجيم، مدينة في مقاطعة جوا بالهند، شارع يسمى "شارع هرمز" Ormuz Road و يبدو أن

البرتغاليين قد أطلقوا عليه هذا الاسم حيث آثارهم شاهدة على وجودهم في المدينة. و الاستشراق واضح في إجراءاتهم هذه

حيث يمتد من شارع هرمز شارع آخر أطلقوا عليه "شارع الشرق" Orient Road إلا أن السلطات الهندية يوم 10-6-

2002 غيرت اسم شارع هرمز إلى اسم آخر يحمل اسم أحد الرموز الهندية، فأصبح الشارع TB Cunha Road.

و هرمز Ormuz أيضاً اسم لباحرة ركاب إنجليزية، صنعتها "شركة الملاحة البخارية الشرقية" سنة 1886، و كان خط

رحلتها منتظماً بين بريطانيا و أستراليا عبر البحر الأبيض المتوسط. و يحتفظ المتحف البحري الوطني، في لندن بصورة

لهذه الباحرة.

⁸ جون ميلتون John Milton (1608-1674) من أشهر الشعراء الإنجليز في القرن السابع عشر. عرف بملحمته

الضخمة "الفرديوس المفقود" Paradise Lost، التي استغرق في كتابتها إحدى و عشرين سنة، و تتألف من عشرة آلاف و

خمسماية و ستين سطراً، يضمها اثنا عشر كتاباً. تتمركز حول عصيان الشيطان للخالق، و آدم، و تجعل من الشيطان بطلاً

تاريخياً. ترجم محمد عناني النص الكامل للفرديوس المفقود، و نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 2002. و قد

اعتدنا هنا على ترجمتنا الخاصة لهذا المقطع من الملحمة. لتفاصيل أكثر عن جون ملتون، انظر:

Forsyth, Neil *John Milton : a biography* (Oxford : Lion, 2008)

⁹ Milton, John *Paradise Lost: a poem in twelve books* (London: S. Simmons, 1674), II, p. 28.

¹⁰ وليام سوذبي William Sotheby، 1757-1833 شاعر و مترجم إنجليزي، ينتمي إلى المرحلة الرومانسية في الأدب الإنجليزي. لم يحق نجاحا يذكر في شعره، ولكنه عرف كمترجم لأهم الأعمال الكلاسيكية مثل الإلياذة و الأوديسة لهوميروس. انظر:

Lee, Sidney *Dictionary of National Biography*, 1885-1900, Volume 53(London : Smith, Elder & Co., 1885-1900), p. 266.

¹¹ Sotheby, William *The Battle of the Nile : a poem* (London: Cadell and Davies, 1799), p. 11.
¹² السير إدوين أرنولد Sir Edwin Arnold ، 1832 – 1904، صحفي و شاعر إنجليزي، عمل محررا لجريدة النبلي تيلجراف. عرف نقديا باهتمامه بترجمة الحياة و الفلسفة الشرقية في شعره، و من أهم أعماله في ذلك "ضياء آسيا" The Light of Asia، الذي ظهر سنة 1879. و هو عبارة عن ملحمة شعرية حول تعاليم بوذا، حقق من خلالها شهرة واسعة في بريطانيا و أميركا. انظر:

Kogan, B.R. "Edwin Arnold", *Dictionary of Literary Biography: Victorian Poets After 1850*, 35, (Detroit, Mich. : Gale Research Co., 1985),pp. 9-13

¹³ Arnold, Edwin *In My Lady's Praise* (London : Trübner & co., 1889), p. 27.

¹⁴ بيرسي بايش شيلي Percy Bysshe Shelley 1792-1822، شاعر رومانسي إنجليزي، يعد من أشهر الشعراء الغنائيين في المرحلة الرومانسية، عرف بمواقفه المناهضة للسياسة الإنجليزية، و القيم المحافظة في وقته. من أهم أعماله "الون و سيثنا" Laon and Cythna، و هي ملحمة طويلة هاجم فيها الدين و رجال الكنيسة، فصدرت مباشرة بعد نشر نسختين منها فقط، ثم أعيدت طباعتها سنة 1818 تحت عنوان جديد هو "ثورة الإسلام" The Revolt of Islam. انظر: Bieri, James. *Percy Bysshe Shelley : a biography* (Baltimore, Md. : Johns Hopkins University Press, 2008).

¹⁵ Shelley, Percy Bysshe *The Complete Poetical Works of Percy Bysshe Shelley* (London: Clarendon Press, 1904), p. 114.

¹⁶ توماس مور Thomas Moore 1779-1852، من أهم الشعراء الأيرلنديين الرومانسيين، و كان صديقا لكل من اللورد بايرون، و بيرسي شيلي. له عدة أعمال من أهمها "لالا روك" Lalla Rookh التي نشرها عام 1817. و كسب منها أموالا هائلة في ذلك الوقت تقدر ب 3000 باوند. لالا روك عبارة عن أربع قصائد ملحمية، تصف رحلة الأميرة لالا روك من دلهي إلى كشمير لتتزوج ملك بنشاريا. من بين هذه القصائد الطويلة، قصيدة "عبدة النار" The Fire-Worshippers، و تعتمد على أسطورة فارسية تدور أحداثها حول قصة حب مأساوية بين عاشقين شابيين هما حافظ و هند. انظر:

Mackey, Herbert O. *The life of Thomas Moore : Ireland's national poet* (Dublin : Apollo Press, 1952).

¹⁷ Moore, Thomas *The Complete Poetical Works of Thomas Moore* (London : Longmans, Green, Reader, and Dyer, 1869), p. 204.

¹⁸ ماديسن جوليبوس كاوين Madison Julius Cawein 1865-1914، من شعراء الطبيعة الأميركيين، له ما لا يقل عن ثلاثين كتابا نثريا حول الناس و الطبيعة في ولايته كنتاكي. متأثر في قصائده بشعر تي إس إليوت. انظر: Perkins, David. *A History of Modern Poetry: From the 1890s to the High Modernist Mode*. (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1976), p. 102.

¹⁹ سراج الليل، أو الحُجاب، حشرة ليلية تخرج ضوءا من ذيلها.
²⁰ أوفير Ophir، أرض غنية بالذهب، ورد ذكرها في التوراة، و لعلها إرم ذات العماد التي ورد ذكرها في القرآن، و التي أثبتت بعض الاكتشافات الأثرية أنها موجودة في جنوب عمان، كما سيأتي لاحقا.

²¹ Cawein, Madison Julius *The Poet and Nature, and The Morning Road* (Kentucky : J. P. Morton & Co., 1914), p. 207.

²² السنا، نبات عطري، و يعرف أحيانا بالسمنكي.

²³ Cawein, Madison Julius *Poems* (Boston : Small, Maynard & Company, 1908), p. 318.

²⁴ لويس دي كيمو Luís de Camões (1524–1580) شاعر برتغالي عرف بملحمته الشهيرة "اللويساد" Lusiad التي نشرها سنة 1572، و يعتبرها البرتغاليون ملحمتهم الوطنية، و يضعونها في مستوى ملحمة "الإلياذة" للشاعر الروماني فرجيل. تتمحور اللويساد حول تمجيد التوسع الاستعماري البرتغالي من القرن الرابع عشر حتى القرن السابع عشر بقيادة فاسكو دي جاما الذي وصل إلى الهند. ترجم اللويساد إلى اللغة الإنجليزية الشاعر الاسكتلندي ويليام جوليبوس مايكل William Julius Mickle (1735-1788) و نشرها سنة 1776. انظر:

Adamson, John. *Memoirs of the life and writings of Luis de Camoens*. (London : Longman, 1820).

²⁵ Camões, Luís de *The Lusiad : or, the discovery of India. An epic poem*, translated by William Julius Mickle (Oxford : Jackson and Lister, 1776), v, p. 453.

²⁶ حول قصة البعثة كاملة، انظر:

Clapp, Nicholas, *The Road to Ubar: Finding the Atlantis of the Sands* (London: Souvenir Press, 1999).

²⁷ ييارد تايلور Bayard Taylor ، شاعر و رحالة أميركي، زار العديد من مناطق الشرق، منها مصر و فلسطين، و الهند، و الصين، و اليابان. انظر:

Ehrlich, Eugene and Gorton Carruth. *The Oxford Illustrated Literary Guide to the United States*. (New York: Oxford University Press, 1982), p. 200.

²⁸ Taylor, Bayard *The Poetical Works of Bayard Taylor* (Boston: Houghton, Mifflin and Company , 1907), p. 67.

²⁹ Maurizi, Vincenzo, *History of Seyd Said Sultan of Muscat*, 2nd ed. (Cambridge: Oleander Press, 1984), p.18.

³⁰ Heude, William, *A Voyage up the Persian Gulf and a Journey Overland from India to England in 1817* (London: Strahan and Spottiswoode, 1819) , p. 26.

³¹ Belgrave, Charles, *The Pirate Coast* (Beirut: Librarie Du Liban, 1972), pp. 64-65.

³² Sadlier, Gorge Foster, *Diary of a Journey Across Arabia* (Bombay: Education Society, 1866), P. 16.

³³ Fraser, James Baillie, *Narrative of a Journey into Khorasan in the Years 1821 and 1822 Including Some Account of the Countries to the North East of Persia* (London: Longman, 1825), p. 20.

³⁴ Keppel, George Thomas, *Personal Narrative of a Journey From India to England*, 2 vols (London: Henry Colburn, 1827), I, p. 15.

³⁵ Mignan, Robert, *A Winter Journey Through Russia, The Caucasian Alps, and Georgia*, 2 vols (London: Richard Bentley, 1839) , II, pp.235-236.

³⁶ Stocqueler, Joachim Heyward, *Fifteen Months' Pilgrimage Through untrodden Tracts of Khuzistan and Persia*, I (London: Saunders and Otley, 1832), pp. 5-6.

³⁷ Roberts, Edmund, *Embassy to the Eastern Courts of Cochinchina, Siam, and Muscat* (New York: Harper & Brothers, 1837), p. 358.

³⁸ Ibid., p. 361.

³⁹ Wellsted, James Raymond, *Travels in Arabia*, 2 vols (Austria: Graz, 1978), I, pp. 7-8.

⁴⁰ Nostitz, Pauline, *Travels of Doctor and Madame Helfer in Syria, Mesopotamia, Burmah and Other Lands* , Translated by George Sturge 2 vols (London: Bentley & son, 1878), II, p. 6.

⁴¹ Billecocq, Xavier, *Oman: Twenty-Five Centuries of Travel Writing* (Relations Internationales, 1994), pp.198-199.

⁴² Shepherd, William Ashton, *From Bombay to Bushire, and Bussora; Including an Account of the Present State of Persia, and Notes on the Persian War* (London: Richard Bentley, 1857), pp. 52-54.

⁴³ فيتش تالر Fitch W. Taylor شاعر و قسيس أميركي، ولد في ميدل هدام Middle Haddam ، كونيتيكت Connecticut ، 4 أغسطس، 1803، و توفي في بروكلن، نيويورك، 23 يوليو، 1865. ذهب إلى مدينة نيويورك في سن الخامسة عشر بهدف مزاوله التجارة، لكنه بعدنذ قرر أن يكون كاهنا مسيحيا. تخرج في جامعة ييل سنة 1828، و استلم وظيفته في الأسقفية البروتستانتية، وكان كاهن الأبرشية في ميريلند حتى سنة 1841، حيث عُيّن قسيسا في الأسطول البحري الأمريكي، و كان قبيل موته من أكبر القساوسة في هذه الخدمة. انظر:

Adams, Oscar Fay *A dictionary of American authors* (Boston : Milford House, 1975)

⁴⁴ Taylor, Fitch Waterman *A Voyage Round the World in the United States Frigate Columbia*, I (New York: D. Appleton, 1842). P. 187.

⁴⁵ Ibid., p. 171.

⁴⁶ شاعر بريطاني، ولد في نابلتن Nunapleton في مقاطعة يوركشير لعائلة عسكرية اشتهر منها مجموعة من الضباط البريطانيين. تلقى تعليمه في إيتن و أكسفورد. و لدراسته القانون، أصبح مؤهلا في سنة 1837 لممارسة المحاماة في المحاكم العليا البريطانية. صدرت له مجموعة دواوين منها قصائد متنوعة (1834)، و مصيران (1844)، و أوديب، ملك طيبة (1849)، و عودة الحرس الملكي (1866). وردت قصيدته "أبيات في بيع الفرس العربي الأسود" في ديوانه عودة الحرس الملكي. و قصائد أخرى (Published by Macmillan, 1866، كما أنها نشرت سابقا في مجلة Blackwood's Edinburgh Magazine ، في مايو 1840.

⁴⁷ الطاهر، علي جواد المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت: دار العلم للملايين، 1976)، ص 123.

⁴⁸ Wellsted, James, *Travels in Arabia*, vol. I, (Austria: Graz, 1978) p. 274.

⁴⁹ Thomas, Bertram, 'Burton and the Rub' al Khali', *Journal of the Royal Asiatic Society*, (1931), 966-985 (p. 968).

⁵⁰ Miles, S. B., 'On the Border of the Great Desert: A Journey in Oman', [part II] *Geographical Journal*, 36, (1910), 405-425 (p. 415).

⁵¹⁵¹ Alan Sillitoe, *Collected Poems* (Harper Collins, 1993).
الآن سيليتو Alan Sillitoe شاعر وروائي وكاتب مسرحي بريطاني ولد سنة 1928 في نوتنجهام وتوفي يوم 25 أبريل 2010. اشتهر بعد الحرب العالمية الثانية بأعماله التي مجد فيها الطبقة العاملة في بريطانيا وانتمى إلى جماعة أدبية تسمى "الشباب الغاضبون". ترك الدراسة في عمر مبكر وانخرط في أعمال مهنية بمصانع نوتنجهام، ثم وافته الفرصة ليلتحق بالقوات الجوية الملكية كعامل لاسلكي في ماليزيا، عاد بعدها إلى بريطانيا مصابا بالمل. بعد عام 1951 قرر الهجرة إلى الخارج وعاش متنقلا بين فرنسا، وإيطاليا، وأسبانيا، وطنجة. سيليتو غزير الإنتاج له أعمال تربو على الستين مؤلفا بين قصة ورواية ومسرح وشعر. قصيدته الربيع الخالي هذه تضمنتها مجموعته "قصائد مختارة". انظر:

Bradford, Richard. "Alan Sillitoe obituary" *guardian.co.uk*, Sunday 25 April 2010 15.15 BST.

⁵² Canaday, John, 'The Empty Quarter' *New England Review* (Middlebury College, VT) (20:4) [Fall 1999], p.57.

جون كانادي John Canaday شاعر أمريكي ولد سنة 1961 في بوسطن. قصيدته "الربيع الخالي" وردت أيضا في مجموعته الشعرية الأولى "العالم الخفي" التي صدرت في أبريل 2002 عن مطبعة جامعة ولاية لويزيانا. هذه المجموعة كانت قد رشحت قبل الطبع "لجائزة والت وايتمان" وفازت بها لعام 2001. كانادي نشر أيضا عام 2000 كتابا هاما في النقد عنوانه "الوحي النووي: الأدب، الفيزياء و القنابل الذرية الأولى (جامعة ويسكونسن) يركز فيه على العلاقات بين الفيزياء و الأدب في سياق تطور الأسلحة النووية. حصل على درجة الدكتوراه في الأدب من جامعة روتجرز في 1995، و يعمل حاليًا كمعلم خصوصي في منطقة بوسطن، حيث يدرس الأدب، الكتابة، التاريخ، الرياضيات، الأحياء، الكيمياء و الفيزياء. وفي عامي 1991 و 1992 عمل كنادي في الأردن كمدرس لأطفال العائلة الحاكمة. انظر:

<http://www.poets.org/poet.php/prmPID/671>

⁵³ العنوان الأصلي: *Oman Once Visited Never Forgotten* (Muscat: Modern Colour Printers, 1999)

⁵⁴ باشلار، جاستون، *جماليات المكان*، ترجمة غالب هلسا، الطبعة الثانية (بيروت: المؤسسة الجامعية، 1984)، ص 43.
⁵⁵ Hywel-Davies, Mike. *Oman Once Visited Never Forgotten* (Muscat: Modern Colour Printers, 1999), p. 3.

⁵⁶ *Ibid.*, p. 19.

⁵⁷ *Ibid.*, p. 23.

⁵⁸ *Ibid.*, p. 25.